فإن قلت : فما تصنع بقوله : " قل سيروا في الأرض " ؟ قلت : هي حكاية كلام حكاه إبراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا A كلام ا على هذا المنهاج في أكثر القرآن فإن قلت : فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة ؟ أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ؟ ألا تراك لا تقول : مكة - وزيد أبوه قائم - خير بلاد ا ؟ قلت : إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول ا A وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل ا كان ممنوا بنحو مامني به من شرك قومه وعبادتهم الوثان فاعترض بقوله : وإن تكذبوا على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها ؛ لأن قوله : " فقد كذب أمم من قبلكم " لا بد من تناوله لأمه إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة ا وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه قرئ : " يروا " بالياء والتاء . ويبدئ ويبدأ . وقوله : " ثم يعيدوه " ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى : " فانظر كيف بدأ الخلق ثم ا ينشئ النشأة الأخرى " على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك : ما زلت أوثر فلانا واستخلفه على من أخلفه فإن قلت : هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو ؟ قلت : هو جملة قوله : " أولم يروا كيف يبدئ ا الخلق " وكذلك : وأستخلفه معطوف على جملة قوله : ما زلت أوثر فلانا ذلك يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله : " وهو أهون عليه " الروم : 27 من معنى يعيد . دل بقوله " النشأة الأخرى " على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أي : ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لا تفاوت بينهما إلا أن الآخر إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك . قرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة فإن قلت : ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ في قوله : " ثم ا ينشئ النشأة الأخرى " بعد إضماره في قوله : كيف بدأ الخلق ؟ وكان القياس أن يقال : كيف بدأ ا الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة ؟ قلت : الكلام معهم كان واقعا في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فملا قررهم في الإبداء بأنه من ا احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا كان ا الذي لا يعجزه شئ هم الذي أنشأ النشأة الأولى هم الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه علة هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ " يعذب من يشاء " تعذيبه " ويرحك من يشاء " رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبها من الكافر والفاسق إذا

لم يتوبا ومن المعصوم والتائب " تقلبون " تردون وترجعون " وما أنتم بمعجزين " ربكم أي تفوتونه إ ن هربتم من حكمه وقضائه " في الأرض " الفسيحة " ولا في السماء " التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى : " إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا " الرحمن : 33 ، وقيل : ولا من في السماء كما قال حسان Bه : .

أمن يهجو رسول ا منكم ... ويمدحه وينصره سواء .

ويحتمل أن يراد : لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله تعالى : " ولو كنتم في بروج مشيدة " النساء : 78 او لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء وما لكم من دون ا من ولي ولا نصير .

" والذين كفروا بئايات ا ولقائه أولئك يئسوا م رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم "